

I. نشأة علم التفسير ومراحله:

1- التفسير في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم: كلف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بتبيين القرآن للناس وتفسيره لهم ؛ قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل:44]، واختلف العلماء على مقدار ما فسره النبي صلى الله عليه وسلم على قولين:

- أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه معاني القرآن الكريم كما بيّن لهم ألفاظه، ولهم في ذلك أدلة...

- وقالت طائفة إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبيّن لأصحابه إلا القليل من معاني الآيات، ولهم في ذلك أدلة كذلك...

والراجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبين جميع معاني الآيات؛

أ- فمنها ما يرجع فهمها إلى معرفة كلام العرب؛ والقرآن نزل بلغتهم، وهذا لا يحتاج إلى بيان.

ب- ومنها ما يتبادر معناه إلى الأذهان لظهوره فلا يحتاج تأويلاً كما في قوله: ﴿ حرمت عليكم الميتة ﴾؛ فالمتبادر الأكل لا الانتفاع المطلق.

ج- ومنها ما استأثر الله بعلمه كقيام الساعة وحقيقة الروح وغير ذلك من الغيبات.

د- ومنها ما لا فائدة من معرفة ما يتجاوز المتبادر إلى الذهن مثل معرفة عصا موسى من أي الشجر كانت، أو معرفة لون كلب أصحاب الكهف.

أما **منهج** الرسول صلى الله عليه وسلم في التفسير، فيتميز بالإيجاز والتدقيق، وبيتعد عن الإطناب، فجُلُّ تفسيره بيانٌ لمجمل، أو توضيح لمشكل، أو تخصيص لعام، أو تقييد لمطلق، أو بيان لمعنى لفظ أو متعلقه.

2- التفسير في عهد الصحابة رضي الله عنهم: تميز الصحابة بالفصاحة السليبية، التي تتيح لهم فهم القرآن الكريم، ولكن قد تخفى عليهم بعض المعاني، فيرجعون في فهمها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم،

وتذكر الروايات تفاوتهم في فهم القرآن الكريم، واجتهادهم في ذلك، فمنه:

. أن عمر بن الخطاب قد خفي عنه معنى الأب، في قوله تعالى ﴿ وَفَاكَّهُةً وَأَبًا ﴾ ، ومعنى التَّخَوُّفِ في قوله: ﴿ أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾، وهو التنقص عند قبيلة هذيل.

. وأن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول أنا ابتدأتها».

أسباب تفاوت الصحابة في فهم القرآن:

. تفاوتهم في أدوات الفهم كالعلم باللغة؛ فمنهم من كان واسع الاطلاع مُلمًا بغريبها ومنهم دون ذلك.

. تفاوتهم في ملازمة الرسول صلى الله عليه وسلم وحضور مجالسه.

. تفاوتهم في معرفة أسباب النزول وغيرها من المسائل المساعدة في فهم الآيات.

. تفاوتهم في مداركهم العقلية شأنهم شأن غيرهم من البشر.

مميزات تفسير الصحابة للقرآن الكريم:

. قلة الأخذ بالإسرائيليات.

. لم يشمل تفسيرهم القرآن كله؛ لأنّ كثيرًا من الآيات كانت واضحة لديهم ولا تحتاج إلى تفسير.

. لا يتكلفون التفسير ولا يتعمقون فيه التعمق المذموم؛ فقد يكتفون بالمعنى العام ولا يخوضون في التفصيل مما لا فائدة ترجى منه.

. قلة تدوينهم للتفسير، وما ورد عنهم إنما نقل بالرواية في غالب الأمر.

منهج الصحابة في التفسير:

. تفسير القرآن بالقرآن.

. تفسير القرآن بأقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم.

. الاجتهاد والاستنباط.

أشهر المفسرين من الصحابة: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير بن العوام وزيد بن ثابت وأبي بن كعب... وأكثر الصحابة رواية في التفسير: علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي بن كعب.

3- التفسير في عهد التابعين: ومنهم: مجاهد بن جبر، وسعيد بن جبیر، وعكرمة والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسي، وعامر الشعبي وغيرهم.

لم يختلف منهجهم عن منهج الصحابة في التفسير؛ إلا أنهم يقدمون تفسير الصحابة على اجتهادهم الشخصي، كما أخذوا من أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى في تفاصيل قصص الأنبياء (أخذوا من وهب بن منبه وعبد الله بن سلام وكعب الأحمري).

مميزات تفسير التابعين:

. دخول الإسرائيليات في التفسير.

. زيادة تفسير الآيات التي لم يتطرق إليها الصحابة لحاجة الناس إلى توضيحها.

. ظل التفسير محتفظاً بطابع التلقي والرواية.

. كثرة الخلافات التفسيرية.

. ظهور نواة الخلاف المذهبي.

. الاهتمام بإسناد الأقوال والروايات إلى أصحابها.

4- التفسير في عهد التدوين: بدأ في أواخر القرن الأول الهجري، ومرّ بثلاث مراحل:

أ- **مرحلة 1:** دَوّن فيها التفسير على أنه باب من أبواب الحديث، كباب الطهارة وباب الصلاة، وممن دَوّن في هذه المرحلة: يزيد بن هارون السلمي (ت117) وشعبة بن الحجاج (ت160). تميز بالناية بالإسناد، ولم يكن مكتفياً بما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم؛ بل شمل تفسير الصحابة والتابعين.

ب- **مرحلة 2:** أصبح التفسير علماً مستقلاً، وممن دَوّن في هذه المرحلة: الطبري، وابن ماجة والحاكم وابن حبان وغيرهم. تميز:

. بأن ما دَوّن كان من التفسير بالمأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة وتابعيهم.

. كان التفسير متصلاً بالإسناد إلى صاحبه مباشرة.

. لم تكن لهم عناية بتحري الصحة في رواية الأحاديث في التفسير.

. اتسعت رواية الإسرائيليات.

ج- **مرحلة 3:** اتجه بعض المفسرين إلى اختصار الأسانيد فاختلط الصحيح بالضعيف، وبدأ التفسير بالرأي المحمود منه والمذموم.

د- **مرحلة 4:** انفتح باب التفسير على مصراعيه ليضم الغث والسمين، والجيد والرديء، ولا يزال إلى يومنا هذا، واتجه المفسرون جهات شتى حسب مذاهبهم ومللهم، كما اعتنى أصحاب العلوم بتفسير القرآن حسب علومهم، وغلبه على التفسير، كالتفسير الفقهي (القرطبي والجصاص)، والإخباري (الثعلبي)، والنحوي (الزجاج والواحدي وأبي حيان..) والعقلي الفلسفي (الفخر الرازي)...

من المؤلفات في عصر التدوين:

تفسير بالمأثور: . جامع البيان في تفسير القرآن- الطبري

. بحر العلوم للسمرقندي

. معالم التنزيل للبخوي.

. الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي.

. الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي.

تفسير بالرأي: . الكشاف للزمخشري

- . مفاتيح الغيب للفخر الرازي
- . مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي
- . البحر المحيط لأبي حيان
- . أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي
- . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للأوسى
- . تفسير المنار لمحمد رشيد رضا
- . في ظلال القرآن سيد قطب